جيرانها في اسيا . وتجربة الاستاذ ولف بالنسف مباشرة — كانت زوجته في طريقها الى السوبرسول عندما انفجرت فيه العبوات الناسفة — وانطباعية— كما لو أنها رسمت على قطعة من الخيش الابيض خلال نقاش ليلي مع اصدقاء . ان ولف ليس يهوديا متدينا ، ككثيرين غيره ، وهو يحاول ان يستحث ما يعتقد أن مشاعره الدينية الكامنة خلال وجوده في اسرائيل . ولكنه عبثا يحاول.

هناك مقابلتان أجدهما مثيرتين للاهتمام على وجه الخصوص . أولاهما مع فيليسيا لانجر ، المحامية الشيوعية التي تدافع عن « الارهابيين العرب » في المحاكم العسكرية الاسرائيلية . ويقدم لنا الكاتب صورة متعاطفة للسيدة لانجر على الرغم من انه واضح ان المؤلف يعلم ان السيدة لانجر لا تحظى برضى السلطات الاسرائيلية تماما ، ولا برضى جيرانها الاقربين في رامات جان خارج تل ابيب . غير ان المؤلف يبرر الصورة المتعاطفة التي يصور بها السيدة لانجر بأن يؤكد للقارىء أن السيدة لانجر يجب ان لا تعتبر شخصا لا يطاق بسبب انتمائها السياسي فهي في الحياة الواقعية لا تعدو كونها « أما يهودية » أخرى — وهذه حقيقة استنتجها المؤلف لانها اعطته قطعتين من السندويش ليأكلهما وهو في رطيته من تل ابيب الى القدس . من الواضح ان الاستاذ ولف كان يعتقد انه يعبر عن استقلاله الفكري عندما ضمن الكتاب مقابلة مع السيدة لانجر ، ولكنه نسي أن يذكر ان السيدة لانجر ببساطة تخلص لضميرها فيما يتعلق بالفلسطينيين . وتناسى ان يقول ان السيدة لانجر تؤمن ايمانا عميقا بمبدأ الدولة اليهودية الذي تقول « أننا لن نتخلى عنه » . اما المقابلة مع الهارب من مجبر وارسو فتحتوي على معلومات كثيرة . فالرجل، واسمه بنيامين ايخنر، يصف بالضبط كيف سقط المجبر ، والحقائق التي يوردها تبدد الخرافة التي نسجتها الصهيونية والتي تقول ان المجبر قد جرى الدفاع عنه ببسالة ، وتجعل من ذلك المثل الرئيسي للمقاومة اليهودية للنازيين خلال الحرب . ولكن الواقع ، كما تكشف عنه المقابلة ، هو أن سقوط المجبر كان ألما ممضا مطولا (١٩٤١—١٩٤٣) مبعثه خيانة اليهود لانفسهم وتعاونهم مع النازيين. كانت انتفاضة وارسو حضيض التاريخ اليهودي تحت الاحتلال النازي لا قمته . ان هذه القصة ايضا ككثير غيرها ليست الا خرافة صهيونية اخرى اخترعتها الميثولوجيا الصهيونية بعناية . أما العرب الذين جرت مقابلتهم فهما الاب ريا ابو العسل ، راعي كنيسة المسيح في الناصرة ، وعنان الصفدي احد مراسلي الصحيفة الحكومية الاسرائيلية جروسالم بوست . يعبر الاب ابو العسل بصراحة عن مشاعر الفلسطينيين الذين انتزعت منهم املاكهم . وتغطي مقابلته صفحتين . أما عنان الصفدي فعربي من بيسان وهو متعاون مع الاسرائيليين ويردد الخرافات الاسرائيلية القياسية عن علاقات الفلسطينيين (العرب) واسرائيل . وقد اعتبر السيد صفدي نفسه واحدا من اعضاء ما يدعوه بـ « عائلة الشعوب الاسرائيلية » . وكون ولف قد اختار مسلما لهذه المقابلة أمر هام : فهو يأمل في ان يبين ان المسلمين يمكن ان يكونوا « عرب طيبين » أي « اسرائيليين طيبين » . وتغطي مقابلة الصفدي « العربي — الاسرائيلي الطيب » سبع صفحات مقابل الصفحتين اليتيمتين اللتين خصصتا للاب ابو العسل . فالاب ابو العسل ليس « عربيا طيبا » ، بل هو بدلا من ذلك عربي صريح .

يعتقد كثير من الناس ان الحقيقة يمكن ان يعثر عليها باستشارة عدد كبير من الناس والتأليف بين آرائهم ويبدو ولف في منحى معالجته لاسرائيل والتجربة الاسرائيلية واحدا من هؤلاء، ولكنه يتبنى المبدأ الديمقراطي ويستشير عددا كافيا من الناس . فهو يستشير فقط عددا قليلا من الناس غير العاديين. لقد ردد كل الاسرائيليين اليهود الذين جرت مقابلتهم الخرافات المعتادة عن اسرائيل ولكن يجب ان يقال انه كان بمقدور ولف ان يوسع دائرة المسلح الذي قام به ليصل الى النتيجة ذاتها ذلك ان غالبية الاسرائيليين تؤمن بهذه الخرافات ولقد كان باستطاعة ولف ان يجتنب هذه العثرة ويصل الى الحقيقة لو انه تحمل عناء زيارة قسم الاعلام في رئاسة الوزراء ودائرة النشر الضخمة في وزارة الدفاع . ولعثر هناك على المصدر الذي يستمد منه الاسرائيليون افكارهم عن اسرائيل وتاريخ اسرائيل ، ولاستنتج أن « ولع » اسرائيل ، الى حد بعيد من صنع دعاة اذكياء . ولكن ولف لم يكن يعير اهتماما لدراسة جادة لاسرائيل وشعبها . فقد كان يبتغي كتابة مؤلف مقروء ومقبول اكاديميا ليبرر به عطلته في اسرائيل . وقد نجح في ذلك .

مايكل جانس